

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢) تيموثاوس ٣: ١٠ -
(١٥)

يا ولدي تيموثاوس إنك قد استقرت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكية وإيقونية وإسترة. وأية اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعها* وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون* أما الأشرار والمغورون من الناس فيزدادون شراً مُضِلِّينَ ومُضِلِّينَ* فاستمرَّ أنتَ على ما تعلمته وأيقنتَ به عالماً ممن تعلمت* وأنك منذ الطفولية تعرفُ الكتب المقدسة القادرة أن تُصيرك حكيماً للخلاص بالإيمان بالمسيح يسوع.

أحد الفريسي والعشار

«لا نصلين يا أخوة فريسياً لأن من يرفع نفسه يتضع. بل فلنتذل أمام الله متضعين ولنهتف بواسطة الصيام بصوت العشار قائلين: أَللّهُم اغفر لنا نحن الخطاة» (غروب الفريسي والعشار).

مع أحد الفريسي والعشار، اليوم، نبدأ في الكنيسة رحلة التهيئة الحقيقية للدخول في الصوم الكبير والوصول إلى قيامة الرب المخلص، إلى الفصح المقدس. وفي صبيحة هذا الأحد نبتدئ

بترتيل الترنيمة المشهورة «افتح لي أبواب التوبة يا واهب الحياة... لكني إذ أنا واثق بتحنتك اهتف إليك مثل داود: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك». أما في عشية هذا الأحد فنرتل «إذ قد ثقلت عينا من تلقاء أنامي فلا أستطيع أن أتفرس ناظراً إلى أفق السماء. لكن أنت أيها المخلص اقبلني تائباً كالعشار ورحمني». واضح إذ من هذه الصلوات وغيرها ان الكنيسة واعية ان التوبة هي الركيزة الأساسية الأولى في طريق عودة كل واحد منا إلى

الأحضان الأبوية. التوبة تفتح أبواب الملكوت، فإذا كانت الخطيئة في القديم هي سبب خروجنا من الفردوس، فإن التوبة هي التي تعيدنا إلى الملكوت، إلى الفردوس المفقود. التوبة هي تغيير الذهن ونمط عيش جديد بحسب وصايا الرب. تبتدئ بقطع كل صلة مع الإنسان العتيق فينا، بقطع كل صلة مع الخطيئة كما يقطع الفلاح الأغصان

الأيابسة من الأشجار، ثم الإنطلاق في حياة جديدة مع الرب. ألم يفعل هكذا زكا العشار الذي قرأنا عنه منذ أحدى في

الكنيسة؟ فإن عودته إلى الرب لم تكن مجرد كلام واستعراض، بل ترجم عودته بالأفعال «فقال للرب ها أنا أعطي نصف أموالي للمساكين وإن كنت قد غبنتُ أحداً أرد أربعة أضعاف. فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم» (لو ١٩: ٨-٩). إذا التوبة تغيير مسار حياة وعودة إلى طريق الحياة ونتيجتها الحصول على الخلاص. ولا ننسى ان أول ما قاله الرب في بدء بشارته كان: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٧). موضوع التوبة مطروح بشكل قوي

العدد ٦/٢٠١٢

الأحد ٥ شباط

أحد الفريسي والعشار

تذكار القديسة الشهيدة أغاثي

اللحن الأول

إنجيل السحر الأول

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٠-١٤)

قال الربُّ هذا المثل. إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا أحدهما فريسي والأخر عشائر* فكان الفريسي واقفا يصلي في نفسه هكذا اللهم إني أشكرك لأنني لست كسائر الناس الخطاة الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشائر* فإني أصوم في الأسبوع مرتين وأعشر كل ما هو لي* أمّا العشائر فوقف عن بعد ولم يرد أن يرفع عينيه إلى السماء بل كان يقرع صدره قائلاً اللهم ارحمني أنا الخاطيء* أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذلك. لأن كل من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع.

تأمل

عندما تواجه، أو تتذكر عدوك، يجب ألا تقول «فعل بي هذا وهذا»، أو: «قال بحقي هذا»، لأنك بهذا ستشعل غضبك وستزيد شعل غيظك أكثر. إنس كل الأشياء المحزنة التي سببها لك أو سمعتها منه، وعندما تخطر على بالك من دون إرادتك، اعتبرها من الشيطان لا من قريبك، تذكر فقط الخير الذي فعله بك مرة، أو ما

الفريسي جعله ينصب نفسه ديناً للآخرين. تكبره أعماه فلم يعد يرى خطاياهم. هذا الخطأ الفادح نفع فيه نحن أيضاً حين نذهب للإعتراف لدى آبائنا الروحيين، فنعرض لخطايا الآخرين وكيف يعاملوننا وننسى أن نقول خطايانا وماذا نعمل نحن. نتلهى بخطايا الآخرين وننسى أننا مثل كل البشر معرضون للخطأ والخطيئة وبحاجة إلى من يخلصنا. يقول القديس مكاريوس الكبير: «الكرامة والكبرياء كانتا في البدء علة سقوط آدم بواسطة الحياة، ولا زالت الحياة إلى الآن تستعمل وسيلتها وهي مختبئة في القلوب وتهلك جنس المسيحيين بعلة الكرامة واحترام النفس. لذلك اتخذ المسيح صورة عبد وغلب الشيطان بالتواضع ليعلمنا طريق النصر». من لا يستطيع الإقرار بخطاياهم هو إنسان متكبر.

لم يكتفِ الفريسي بإدانة الآخرين بل صار يمتن الله: «إني أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما هو لي». وكان الله بحاجة إلى صلواتنا وأصوامنا وتعشيرنا. هذه رتبها الله لفائدتنا الشخصية لكي تساعدنا في مسيرتنا نحو الملكوت.

مقابل الفريسي لدينا العشائر، جابي الضرائب، الخاطيء بنظر الفريسي والناس. هذا أتى بتواضع هائل وأقر أنه إنسان خاطيء. لكن التواضع ليس أن ندعي أننا خطاة ونحن لا نشعر بذلك في أعماق نفوسنا، لأن ذلك يبعدنا عن معرفة أنفسنا وعن حقيقة التواضع. الإنسحاق الحقيقي يؤدي إلى اتصال حقيقي بالله كما يؤدي إلى ملء النعمة. هكذا حصل مع العشائر، تواضعه أوصله إلى الله فتبر. انسحاق النفس والتواضع هما

في المقطع الإنجيلي اليوم، الفريسي والعشائر (لو ١٨: ١٠-١٤). يتحدث الإنجيل عن إنسانين أحدهما متدين فريسي، والآخر خاطيء عشائر جاب للضرائب. وطالما انه ليس من إنسان في هذا العالم يحيا ولا يخطيء، فإن الفرق بينهما كان الإقرار بالخطأ والعودة عنه وطلب الغفران. مهم أن يكون الإنسان متديناً ولكن الأهم أن لا يظن نفسه كاملاً وبالتالي معصوماً عن الخطأ ومخلصاً ويصير ديناً. المهم أن يعي كل واحد منا ان لديه خطاياهم ويفر بها ويتوب عنها. فالعشائر في مثل اليوم أرسل إلى منزله مبرراً لأنه أقر بخطاياهم وأعلن توبته بتواضع هائل: «وقف عن بعد ولم يرد أن يرفع عينيه إلى السماء بل كان يقرع صدره قائلاً اللهم ارحمني أنا الخاطيء».

الإقرار بالخطأ والتوبة يتطلبان تواضعاً هائلاً، لذا ينهي الرب يسوع هذا المثل بقوله «من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع». بهذا يكون الرب قد أوضح أهم شروط التوبة وهو التواضع. أن نتواضع يعني أن نتشبه بالرب الذي يقول: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني، لأنني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم» (متى ١١: ٢٩). القديس إسحق السرياني يقول ان فضيلة التواضع هي أم الفضائل، أما صاحب المزامير فيقول «الذبيحة لله روح منسحق، القلب المتخشع المتواضع لا يردله الله» (مز ٥٠: ١٧). خطأ الفريسي انه لم يترك لله الديان العادل أن يبرره، بل صعد إلى الهيكل ووقف مصلياً ومبرراً نفسه. صار يدين الآخرين معلناً انه أفضل منهم: «إني اشكرك لأنني لست كسائر الناس الخطفة الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشائر». تكبر

قاله لك. بهذه الطريقة، ستمحو العداوة التي تفصلكما بسرعة، وإن لزم الأمر أن تدعوه للنقاش والاستفسار، فاطرد أولاً الغضب من قلبك وبعد ذلك ابدأ بالتكلم معه، لأنك إن كنت غاضباً فإنك لن تستطيع أن تقول أو تسمع شيئاً صحيحاً. على العكس، إن كنت هادئاً فلا أنت ستقفوه بكلام سيئ ولا ستسمع الآخرين يجيبونك بالإهانات. كما ترى، لا تغيظنا مثل هذه الكلمات عادة بقدر ما تغيظنا الأفكار المسبقة عن العداوة التي نشعر بها نحو الآخر. فكما أننا في الليل لا نعرف صديقنا حتى ولو كان بالقرب منا، أما في النهار فنعرفه حتى ولو رأيناه من بعيد، هكذا عندما نكون غاضبين من أحد، فإننا نقف أمامه ونسمعه بنية سيئة، لكن عندما نطرد الغضب من داخلنا حينئذ يبدو لنا شكله محبباً وأقواله مفرحة.

لنبحث الآن في الحالة التي يؤنبك فيها عدوك - لأنها مألوفة أكثر - بسبب عيب فعلي فيك أو لخطأ ارتكبته حقاً. إن استمعت له من دون أن تغضب أو تشتمه أو تهينه، بل تنهدت بمرارة وطلبت إلى الله أن يسامحك، فإنك تتخلص من خطيئتك في الحال، وسأبرهن لك ذلك بمثال من الكتاب المقدس:

أساس جميع الفضائل وبوابة كل عمل روحي وغاية كل معرفة، كما يقول المغبوط أوغسطينوس: «إن اتضاع النفس هو المضمون الكامل للديانة المسيحية».

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم عن مثل الفريسي والعمارة: «صرخ العمارة بقلب منسحق ذليل: «اللهم ارحمني أنا الخاطيء»، فخرج من أمام الله مبرراً دون الفريسي. الصلاة المنسحقة أفضل من العمل غير المتضع. فالفريسي أظهر بره بالصوم الدقيق والعشور المنظمة، والعشار قدم قلباً منكسراً بدون أعمال. إن الرب لا ينصت إلى الكلام فحسب بل يلتمس المشاعر التي تصوغ الكلام. فلما وجد العشار متضعاً ومنسحقاً أحبه ورحمه. نحن كلنا خطاة ومعرضون للوقوع في الخطيئة. فلنضع أمام الله ونعترف أننا خطاة... فنتبرر».

بدء التريودي

مع اقتراب زمن الصوم الكبير المبارك، تهيننا الكنيسة المقدسة عبر أربعة آحاد متتالية لإتمام رحلة هذا الصوم الكبير الذي ينتهي بالفصح المقدس أي قيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات، من خلال تزويدنا ما يلزم، أي بتأمين الزاد الكافي الذي يخولنا الوصول إلى النهاية المرجوة. وقد وضع ناظمو التسابيح خدماً جمعتهما الكنيسة في كتاب واحد (باستثناء خدمة الفصح المبارك)، أطلق عليه اسم «التريودي»، وقد سُميت فترة الصوم الكبير باسم الكتاب، وأصبحت تسمى «زمن التريودي». وللتذكير فإن تسمية الكتاب هي يونانية «Triodion» وهي مشتقة

من كلمتي «Tria» (ثلاثة) و«Odi» (تسبحة) اللتين تعنيان «التسابيح الثلاثة»، وذلك يعود إلى أنه في خدَم سحر الصوم نرتل ثلاث تسابيح للتريودي من قانون السحر من أصل تسع تسابيح.

يتألف كتاب التريودي من ثلاثة أقسام: التهيئة وأسابع الصوم الكبير والأسبوع العظيم المقدس. اليوم سنتحدث فقط عن قسم التهيئة.

تتألف فترة التهيئة من أربعة آحاد هي أحد الفريسي والعشار، أحد الإبن الشاطر، أحد مرفع اللحم وأحد مرفع الجبن. وكما ذكرنا في المقدمة فإن الكنيسة المقدسة تزودنا في كل أحد بالفضائل والنصائح اللازمة للدخول في رحلة الصوم الكبير، من خلال ما تضعه أمامنا من قراءات من الكتاب المقدس ومن خلال ما يتلى على مسامعنا من تراتيل وصلوات.

خصّصت الكنيسة المقدسة الأحد الأول من التريودي لمثل الفريسي والعشار الوارد في إنجيل لوقا، وفيه نتعلم التواضع الذي يرتبط بصلاة من صميم القلب وطلب المغفرة ورحمة ربنا. وأول ترتيلة في كتاب التريودي تشكل ملخصاً لهذا التعليم: «لا نصلي يا إخوة فريسيًا، لأن من يرفع نفسه سيتضع. فلننتذل أمام الله متضعين، وبواسطة الصيام نهتف هتافاً عشاريًا قائلين: اللهم اغفر لنا نحن الخطاة». ونتعلم أيضاً من خلال هذا المثل أن نتحاشى الوقوع في إدامة الآخرين وتفضيل أنفسنا عليهم كالفريسي حين نحاول السلوك وفق وصايا الله. وفي فصل الرسالة التي تقرأ في هذا الأحد، وهي من رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس،

إنسانان، الأول فريسي والثاني عشّار، صعدا يوما إلى الهيكل ليصليا. وقف الفريسي متفاخرا في وسط الهيكل وكان يقول: «اللهم إني أشكرك لأنني لست كسائر الناس الخطفة الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشّار» (لو ١٨: ١١). أما العشّار الذي كان يقف من بعيد بتواضع، يسمع كلمات الفريسي المزدرية، فلم يحتج ولم يشتمه ولم يسئ إليه. لكن ماذا فعل؟ بعينين خاشعتين، قرع صدره وقال: «اللهم ارحمني أنا الخاطيء» (لو ١٨: ١٣). لذلك خرج من الهيكل مبررا أمام الرب. رأيت كيف غفر له بسرعة؟ قبل إهانته، اعترف بخطاياهم فتخلص منها. الإدعاء على الخطيئة صار تحررا منها، وأصبح عدوه محسنا إليه من دون أن يقصد ذلك. قل لي، هل توجد طريقة أكثر سهولة للتخلص من الخطايا؟ لكي يتخلص العشّار من عبثها، كم كان عليه أن يبذل من الأتعاب الكثيرة والجهادات ومن الأصوام والسهرة والجهادات والإحسانات؟ أما الآن فبكلام بسيط طرد الشر كله بعيدا عنه. إهانات الفريسي وكلامه المهين، الذي كان يعتقد أنه يحتقره، منحته إكليل البر من دون تعب وبشكل مباشر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ينبئنا الرسول إلى إن «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون»، أي إنهم سيواجهون صعوبات جمّة في مسيرتهم مع الله والسلوك بحسب وصاياه.

في أحد الإبن الشاطر نتعلم التوبة، أي الرجوع إلى الله مصدر حياتنا. نرى الله في مثل الإبن الشاطر ينتظر عودتنا دون شروط مسبقة، ما يشجعنا نحن الضعفاء إلى العودة إليه طارحين عنّا الخوف والشك جانبا. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإذا كنا نعتبر أننا نعيش مع الله علينا أن نقبل أولئك التائبين إليه وأن لا نرفضهم وكأننا نحتكر الخلاص، لا بل علينا أن نفرح مع الله برجوع الخاطئين إلى التوبة. كما نتعلم من الرسول بولس، في الرسالة التي تقرأ في هذا الأحد، أنه وإن كان كل شيء مباح لنا إلا أنه ليس كل شيء يوافقنا، وعلينا أن لا ندع أي شيء يتسلط علينا سوى الله. كما يجب أن ندرك أن أجسادنا هي أعضاء المسيح وهي هياكل الروح القدس، وعلينا أن نقدّمها له أجسادا نقيّة.

أما الأحد الثالث، وهو أحد مرفع اللحم، فيعرف أصلا بأحد الدينونة، ولكن أطلقت عليه هذه التسمية لأننا فيه نرفع اللحوم عن موائدنا ونقطع عن أكلها ابتداء من نهار الإثنين الذي يليه. وفيه نقرأ مثل الدينونة الذي يعلمنا الرب من خلاله أن دينونتنا هي صنع أيدينا، فإننا إن سلكنا في وصية المحبة، محبة القريب، فإننا نكون مع الله، أما إذا اكتفينا بأنفسنا ولم نضع محبة القريب نصب أعيننا، فإننا نخسر الشركة مع الله. من ناحية أخرى نتعلم في هذا الأحد، من

خلال فصل الرسالة، أنه وإن كان لا سلطة لشيء علينا سوى سلطة الله، إلا أن حريتنا تقف عند حدود الآخر، ولا يمكننا أن نشكل عثرة لذلك الإنسان الذي مات المسيح لأجله.

في الأحد الأخير قبل بدء الصوم مباشرة، وهو أحد مرفع الجبن، الذي فيه نرفع الأجبان والألبان والبيض عن موائدنا، تقيم الكنيسة المقدسة تذكرا لنفي آدم من الفردوس. وفيه نتعلم المغفرة، أي أن نغفر للآخرين زلاتهم، التي بدونها لا ننال مغفرة من أبينا السماوي. كما نتعلم الصلاة والصوم الحقيقيين اللذين يكونان في الخفاء حيث الله وحده يرى فيجازينا علانية. فالهدف هو ملكوت السموات أي السكنى مع الله، وهو يقتضي سلوكا لا تقا، طارحين عنّا السكر والشهوات الجسدية والخصومات والحسد، ولا بسين الرب يسوع، ومعرضين عن إدانة الآخرين الذين مات المسيح من أجلهم أيضا. بهذا الزاد نتحضر لمسيرة الصوم الكبير، متطلعين إلى قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، مستعدين للجهاد الروحي حتى نتغلب، بمعونة الله، على كل عائق يقف في طريقنا إليه: «قد وافى الزمان الذي هو ابتداء الجهادات الروحية والغلبة على الشياطين، والسلاح الكامل للإمساك، جمال الملائكة والدالة لدى الله. لأن به صار موسى مناجيا للخالق، وسمع في مسمعه صوتا من غير أن يرى. فيارب أهلنا به أن نسجد لآلامك ولقيامتك المقدسة، بما أنك محب للبشر» (من صلاة سحر أحد مرفع الجبن).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb